تاريخ دير مار انطونيوس الملقّب بقزحيّا

نبذة تاريخيّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري

اثبتنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤: ٣٦١—٣٦٨) تاريخ دير قزحيا ولخّصنا اخبارهُ عن الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات منذ اول انشائهِ الى زمن انقسام الرهبنة الى حلبيّة وبلديّة وذلك سنة ١٧٦٨. فبقي علينا ان نُجمل الكلام عن تاريخ الدير المنوَّه بهِ منذ ذلك العهد الى يومنا فنقول:

انَّ دير قزحيا زاد اتساعاً في أواخر القرن الثامن عشر ونمت املاكهُ وكثر رهبانهُ. ومما أحرز لهُ حينئذٍ شهرة كبيرة مطبعتهُ التي ورد ذكرها في المشرق (٣: ٢٥١) في تاريخ فنّ الطباعة. والذي احضر هذه المطبعة الاخ سارروفيم الشوشاني (حوقا) البيروتي المتوفّى سنة ١٨١٤. كان هذا الراهب الفاضل أُرسل الى رومة في عهد الاب عمانوئيل الرشماوي الرئيس العام على الرهبنة ليقوم بطبع الشبّيّة المارونية بالحرف الكرشوني على نفقة رهبانيّتهِ فلمّا اتمَّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خُضير معلّم العبرانيّة في المدرسة الرومانيّة عاد الى لبنان ومعهُ المطبعة المذكورة مجهَّزة بكل أدواتها ولوازمها فجعلها اولاً في دير مار موسى الحبشي الملقَّب بالدوَّار وطُبع هناك كتب قليلة كخدمة القداس (١٧٨٥) ثم كتاب القداس والرسائل والشحيمة الكاملة. ومن هذه المطبوعات ما طُبع بالحرف السرياني الدقيق

ولمّا صار زمام الرئاسة العامّة في يد الاب اغناطيوس بليبل نُقلت المطبعة الى دير قزحيا نحو سنة ١٨١٥ (١. ثم امر سنة ١٨٢٠ الاب ارسانيوس النيحاوي رئيس الدير ان يخصّص لها بشرقي الدير محلّ منفصل عنهُ قليلاً فبُني قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها وفوقهُ محلّ للمطبوعات وتجليدها. فتمَّ ذلك على يد الاب عبد الله الاهدجي الشهير وقتئذٍ بمتانة

---

١) ونحن نظن ان المطبعة نُقلت الى دير قزحيا قبل ذلك بنحو ١٠ سنوات والدليل على قولنا انهُ يوجد نسخة من الشبّيّة مطبوعة بدير قزحيا تاريخ طبعها سنة ١٨٠٨ (راجع المشرق ٣: ٢٥٧)

أبنيته. وأضيف الى البناء ممشى شرقي يُعرف الى يومنا باسم الرئيس المذكور مع انهُ لم يتمّ الّا في زمن خلفهِ الاب مرقس الشنعيري بنـاهُ الاخ يوسف المعادي. وكان دولاب هذه المطبعة من الخشب يُمدّ الحبر على حروفها بحجارٍ من جلد ثمّ بُدل دولابها بدولاب صغير من حديد. ولمّا كانت السنة ١٨٧١ اشترى رئيس قزحيا الاب دانيال الحدثي من المرحوم رومانوس بين الاهدني مطبعتهُ فاتخذها بدلًا من المطبعة القديمة (راجع المشرق ٤: ٤٧٤). اما قائمة المطبوعات التي نُشرت في قزحيا فقد ظهرت لاختها في هذه المجلة (٣: ٢٥٧) فلا حاجة الى التكرار. وقد تولى ادارة مطبعة قزحيا منذ نشأتها ثلاثة من رهبانها الافاضل وهم الاخ ساروفيم حوقا ثم الاب مرقس اهيج ثمّ الاب مارون ايطو وهو مديرها الحاليّ

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبد الله الخبّاز جسرًا لطاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا حينئذٍ وكان الاخ المذكور تلقى فن البناء على الاب عبد الله الاهمجي. وبنى ايضًا سنة ١٨٥١ جسرًا لنهر رشعين في ملك دير قزحيـا على عهد رئيسهِ الاب اندراوس القرطباوي وكان رئيسًا عامًّا على الرهبانيّة الاب لورنسيوس الشبابي

وفي سنة ١٨٥٦ توفي في محبسة مار بولا السابق ذكرها الراهب انطونيوس الصنابي كان ذا سيرة فاضلة جدًّا اختلى في هذه المحبسة فسكنها سنين عديدة وكان يقضي اكثر زمانهِ في الصوم والصلاة لا يأكل الّا مرّة واحدة في النهار عند المساء وكان طعامهُ الخبز وحدهُ يغمسهُ في قليل من الزيت. وكان سبقهُ في هـذه المحبسة كثيرون من افاضل الرهبان منهم الاب اليشاع المعادي الذي صرف أعوامًا عديدة في التأمل والصلاة وكان اذا صلى دخل مغارة صغيرة فوق المحبسة فبسط يديهِ على شكل صليب لا يثنيهما واذا تحدّرتا سندهما الى حبل معلق بسقف المغارة كما شهد على ذلك رهبان كانوا يرقبونهُ

وفي سنة ١٨٥٥ ترأس على دير قزحيـا الاب اغناطيوس شكري الديراني فشرع بعمار القسم الغربي من الدير بازاء الابنية التي شيّدها الاب ارسانيوس فهدم البناء القديم ثم بنى اقبية واقام فوقها قلالي وحُجرًا وفرشها بالبلاط وهندس لهذا الطابق ممشى لجهة النهر برواقٍ وقناطر مرتفعة فانتهى من هذا العمل سنة ١٨٥٧ وقد انفق عليهِ ١٦٠٠٠٠ غرش. وكان اذ ذاك الرئيس العام على الرهبنة الاب عمانوئيل المتيني

وفي سنة ١٨٦٤ أُقيم لرئاسة الدير الاب بطرس بجدرفل وكان المذكور تلقى بعض

العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير . فاول ما صرف اليه همتهُ توسيع الكنيسة . وكانت قبلًا مغارة ذات جدار واحد من جهة الجنوب فهدمهُ ونقر الصخر حتى اتسعت الكنيسة طولًا وعرضًا ثم اقام جدارًا جديدًا من الحجر الشاقي المنحوت الحجّي استحضره من مقلع بين اهدن وعرية قزحيا . اما الابواب والشبابيك فنقل احجارها من مقلع جبل حصرون . فاصبحت بذلك الكنيسة كبيرة بديعة ثلثا سقفها من اصل المغارة والثلث الآخر من عقد الحجارة . ثمّ اتخذ لها منبرًا فاخرًا ووكل الى عمة من حلب ان يبلطوها بالرخام واقام لها اربعة مذابح لجهة الصخر المنقور ومذبحًا خامسًا في الحائط باسم السيدة . وجهّزها بحلل كنسيّة فاخرة . وكان اوصى لها بمذبح وعواميد رخام ودفع لذلك ٣٠٠٠ غرش الّا ان العمل لم يتمّ الّا في ايام رئاسة خلفهِ الاب رافائيل عوّاد الحصروني الذي انجز هذا المشروع وزيّن الكنيسة بصور جميلة وبلغ مجمل كلّف تجديد الكنيسة مع لوازمها ١٢٩٦٩٦ غرشًا وكان الرئيس العام وقتئذٍ الاب افرام البشرّاني

امّا منزل الزوّار غربيّ الدير فكان الساعي به الاب مارون الصفابي لمّا تولى الرئاسة من السنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ فبنى ردهةً كبرى لاستقبال الضيوف واربع قلالي مع تمشّى وايوان للغرب على ظهر القبو . واكمل هذا العمل الاب بطرس التولاوي مدّة رئاستهِ وجهّز هذه الدار بالاثاث والامتعة وكان هذا الاب من افاضل الرهبان تلقّى العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وقد استأثر الله بهِ منذ اشهر قليلة

امّا املاك دير قزحيا فهي وافرة جدًا منها في الساحل ومنها في الجرد . والبعض منها اوقاف حبسها المحسنون على الدير لاسيما في زاوية طرابلس تبرّع بها المشايخ من بيت الظاهر وغيرهم . امّا القسم الاعظم فهو مشترى اقتناهُ الرهبان بشغلهم وجدّهم والفضل في ذلك عائد خصوصًا للاب اغناطيوس بليبل الذي ضبط ازمّة الرئاسة العامّة مدّة سبعة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ وكان قبل ذلك أقام باعباء النيابة العامّة سنتين لوفاة الاب عمانوئيل جميل سنة ١٨٠٨ وفي أيامهِ نمت الرهبانية نموًّا عظيمًا بالروحيّات والزمنيّات فشيّد اديرة كثيرة وجدّد الاملاك وأعاد الرهبان الى حفظ قوانينهم ورسومهم . وأقام الاخ مارون البعبداتي على نظارة الاملاك وكان وجلًا تقيًّا ذا فطنة وغيرة على نجاح الرهبنة . فنصب أغراسًا كثيرة من التوت والزيتون فتوفّرت مداخيل الدير بذلك وعمّر طواحين على نهر رشعين وكذلك زادت مداخيل الاملاك في الجرد وكان

ايضاً الزوّار يجزلون الصدقات على الدير لاسيّما بعد ان نال كثيرون منهم الشفاء فيه بشفاعة صاحب المقام القديس انطونيوس الكبير

ومن جرّاء هذا النجاح كثر عدد الرهبان حتى بلغ المئة فاضطرّ الرؤساء الى ان يخفّفوا عبء هذا الدير فأقاموا لذلك ثلاثة أديرة في الساحل انتصبت منهُ وهي دير الجديدة شرقي قرية كفر زينا على اسم مار انطونيوس ابي الرهبان ثمّ دير عشاش شمالي الزاوية فوق مدينة طرابلس على اسم مار جرجس أُنشئا سنة ١٨٤٦ على عهد رئاسة الاب عمانوئيل الشبابيّ العامّة. ثم دير بصرما على اسم سيدة النجاة في كورة طرابلس أُنشئ سنة ١٨٧٦ ايام كان رئيساً عاماً على الرهبنة الاب مرتينوس الغوسطاوي. وقد جُهزت هذه الاديرة بكل ما يُقتضى لمعاش الرهبان وجُعل لكل دير أملاك يتولى الاخوة شؤونها. وكان الفضل في بناء دير بصرما للاب دانيال الحدثي الذي امتاز بالبرارة والفضائل ومات برائحة القداسة فدُفن في دير مار سركيس ولا تزال الكرامات تظهر فوق قبرهِ حتى اليوم

وفي سنة ١٨٥٥ استُحضرت مطبعة عربيّة لدير السيدة في طاميش ودفع دير قزحيا خمسين الف غرش من ثمنها. وكان ذلك بواسطة الدكتور ابرهيم افندي الديراني الطبيب. وقد ادرج المشرق قائمة مطبوعاتها سابقاً (١: ١٧٣)

وقد أُخذ من أملاك قزحيا في الجرد قسم قليل أُعطي لدير راهبات مار سمعان العموديّ المعروف بدير سمعان القرن وذلك لمّا سلّم المرحوم المطران بولس رزق مطران طرابلس تدبير هذا الدير للرهبان البلديين سنة ١٨٦٤ وموقعهُ فوق عربة قزحيا قبالي قرية قيطو وكان يسكنهُ ست راهبات. فرئى الاب افرام البشراني الرئيس العام ديونهُ راشتري لهُ أرزقاً من دخل وظيفتهِ ومن املاك دير قزحيا وجعلهُ ديراً كبيراً. وكذلك خصّص لمدرسة بان التي تخصّ الرهبنة بعض املاك اخذها من دير قزحيا. ومع كلّ ذلك لا يزال رهبان هذا الدير نحو سبعين راهباً وقاهُ الله من صروف الدهر وابقاهُ فخراً وملاذاً للرهبنة وللطائفة بدعاء صاحب المقام

وتتمّةً للفائدة قد أَلحقنا بهذه النبذة لائحة اسماء الرؤساء الذين دبّروا دير قزحيا منذ انشائهِ نقلاً عن سجلّات الرهبانيّة:

اسماء الرؤساء	ابتداء رئاستهم
جبرائيل قرحات	١٧١٠
ميخائيل . . .	١٧١٥
يمين . . .	١٧٢٣
جرجس القشوع (١)	١٧٢٥
مبارك الفوسطاوي	١٧٢٧
مارون الدرعوني	١٧٣٥
بولس يونان السمراني	١٧٤٠
مبارك عيد	١٧٤٣
جرجس القشوع (٢)	١٧٤٥
ميخائيل شوشان	١٧٥٠
ميخائيل عيد	١٧٥٤
(مفقود الاسم)	١٧٥٧
عبد الاحد كفركدي	١٧٦٠
(الاسم مفقود)	١٧٦٢
ارميا الكفروني (١)	١٧٦٥
شربل الحويس	١٧٦٩
نعمة الله الحويس	١٧٧٢
ارميا الكفروني (٢)	١٧٧٥
بولس المزرعاني	١٧٧٨
مرقس المرقب	١٧٨١
ارميا الكفروني (٣)	١٧٨٤
اقليموس المكاري	١٧٨٧
اقليموس الشبابي (١)	١٧٩٠
ارميا الكفروني (٤)	١٧٩٣
ماتيا المتيني	١٧٩٦
انطونيوس بليبل	١٧٩٩
برنردوس الدبيه	١٨٠٥
جبرائيل الديراني	١٨٠٨
اقليموس الشبابي (٢)	١٨١٠
برنردوس التزبري	١٨١٤
ارسانيوس الشيحاوي	١٨٢٠
مرقس الشنتيري	١٨٢٣
مكاريوس وادي شمرور (١)	١٨٢٦
عمانوئيل الشبابي	١٨٣٢
مكاريوس وادي شمرور (٢)	١٨٣٥
نعمة الله الحصروني	١٨٣٨
سابا الناقوري	١٨٤٠
انطاطيوس مركيس	١٨٤٢
يوسف البشراني	١٨٤٥
انطاطيوس شكري (١)	١٨٤٧
اندراوس قرطباوي (١)	١٨٥١
انطاطيوس شكري (٢)	١٨٥٣
ليباوس تنوري	١٨٥٦
اندراوس القرطباوي (٢)	١٨٥٩
بطرس بجدرفل	١٨٦٢
دانيال الحدتي	١٨٦٥
روفائيل البزعوني (١)	١٨٧١
رافائيل الحصروني	١٨٧٥
انطونيوس الحصروني (وكيل)	١٨٧٧
عمانوئيل الرشماني	١٨٧٧
مارون ايطو (١)	١٨٨٠
رافائيل البزعوني (٢)	١٨٨٤
مارون ايطو (٢)	١٨٨٥
مارون صنابي	١٨٨٦
عمانوئيل البشراني	١٨٩٠
بطرس تولا	١٨٩٠
مارون ايطو (٣)	١٨٩٤
مارون سرعل	١٨٩٥
افرام سرعل	١٨٩٧
انطونيوس المشمشاني الحالي	١٨٩٩

وهذه اسماء المتوفين برائحة القداسة نقلًا عن روزنامة الدير المذكور :

اسماؤهم	سنة الوفاة	اسماؤهم	سنة الوفاة
الاب اغاطيوس من زوق مصبح (١	١٨١٤	الاب اكليمنضوس الشوري	١٨٣٧
الاب انطونيوس الحبيس (٢	١٨٢٥	الاخ مرتينوس الزبيري	١٨٣٩
الاخ نوهرا المتني (٣	١٨١٧	الاخ جرابيوس اللحفدي	١٨٣٩
الاب البشام المادي (٤	١٨١٩	الاخ مبارك الموصلي	١٨٥٦
الاب حنانيا الشوري	١٨٢١	الاب انطونيوس الصقلي (٦	١٨٥٦
الاب يوسف بكاسيني	١٨٥٦	الاب جبرائيل الشبابي	١٨٦٤
الاخ لورنسيوس من سقي لند	١٨٢٣	الاخ باخوس اليافي (٧	١٨٧١
الاخ ميخائيل الطرابلسي	١٨٣٤	الاب حنانيا الحصروني	١٨٨٩
الاب انطونيوس الزوقي	١٨٢٥	الاب دانيال البشراني	١٨٩٥
الاب جبرائيل البزعوني (٥	١٨٣٢	الاب هارون سرعل	١٨٩٨
الاب جبرائيل الدبراني	١٨٣٣		

هؤلاء الذين اطرأت الروزنامة حسن سيرتهم ومزيد فضلهم وذكرت كثيرين انهم ماتوا ميتة صالحة لم اتعرّض لذكرهم واهملتُ ذكر بعضهم مثل الاخ مبارك من الدبيّة والاخ ارميا العكاري المشهود لهما بحسن السيرة من سكّان الدير الذين عاصروهم

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق ص ٥٢٠)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

في آخر كلامنا عن فنّ الطباعة في المشرق انجزنا تاريخ المطابع في لبنان فلم يبقَ

١) وهو الذي شيّد دير اللويزة واوهبهُ للرهبنة

٢) بعد جهاده مدات حبس نفسهُ ضمن قلاية سنتين حبساً تاماً وعرف ساعة وفاته قبل بومين

٣) حفظ نذورهُ مدققاً ولم يكن يرتد الّا على قطعة يسالخ من شعر

٤) كان حبساً مكث في الحبسة ٣٥ سنة والتقليد يشهد بسموّ فضلهِ

٥) اشتهر بتجوُّدهِ للذراه الجيدة

٦) ومن اعمالهِ كان لا يأكل سوى الخبز والزيت

٧) رؤي حال تراهُ حمامة بيضاء ترفّ فوقهُ وبعض الشهود احياء